دور الترجمة في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والشعوب

بقلم

أ. أحمد عناد (*)

ملخص

يعالج هذا المقال الدور الهام الذي تضطلع به الترجمة في الحفاظ على الهوية الثقافية للنصوص المنقول منها أياً كانت اللغة المكتوبة بها، ولما كانت اللغة جزءاً لا يتجزأ من هوية الشعوب والأمم الثقافية فإن نقلها من تلك اللغة إلى لغة أخرى يعني الحفاظ على الهوية الثقافية لتلك الأمم والجماعات أو تشويهها في زمن العولمة التي تسعى فيه إلى إلغاء التنوع الثقافي وفرض الأنا وإرساء دعائم ثقافة عالمية موحدة، على عكس ما تسعى إليه الترجمة من إنقاذ الثقافة والهوية من التهميش والإقصاء التي تُعدُّ الإطار النفسي والفكري العام للمجتمع الذي يعبّر عن وجوده الاجتماعي، ولعلّ ذلك لا يكون إلاّ بانتهاج أساليب التغريب وترجمة الحرف والترجمة المقاومة المناوئة للسلاسة والشفافية والتأثير المكافئ واختفاء المترجم.

الكلمات المفتاحية : التغريب؛ الترجمة؛ الثقافة؛ الهوية؛ المكافئ الديناميكي؛ المكافئ الشكلي.

مقدمة

لا أحد ينكر ما للترجمة من أهمية قصوى في جميع مناحي الحياة؛ فهي التي عاصرت الإنسان منذ القدم وبها عرف الإنسان حضارات الشعوب الأخرى وثقافاتها وعلومها، فلولا الترجمة لما عرفنا علوم اليونان ولا عرف الغرب علوم العرب ذلك أن الترجمة أكبر مساهم في بناء الحضارة الإنسانية وتكاملها فهي التي تبني الجسور بين الأمم والجماعات وهي البوابة التي تعبر منها الذات إلى الآخر والتعرّف عليه ولا تزال الترجمة الوسيلة الأساسية في التفاعل الثقافي مع الغير واكتساب المعرفة منه،

(*) أستاذ مساعد "أ" بقسم الآداب واللغة الإنجليزية، كلية الآداب واللغات، جامعة الوادي.
ahmed-anad@univ-eloued.dz

تاريخ الإرسال: 2017/09/20 تاريخ القبول: 2018/07/06

فالترجمة إذن ليست مجرد فعلٍ لغويٍ فقط إنما هي فعلٌ ثقافيٌ وحضاريٌ يعمل على نقل المعرفة كما يعمل تماما على إنقاذ الهوية الثقافية من التهميش والضياع؛ فلولا ترجمة شاطوبريان (chateaubriand) لأعمال ميلتون "(Milton) لضاعت الملحمة الشعرية" الفردوس المفقود " لـ: ميلتون ولولا الترجمة العبرية لأعمال الفيلسوف العربي ابن رشد لضاعت فلسفة ابن رشد، فالترجمة إذن تُسهم في الحفاظ على ذاكرة الأمم وموروثاتها، وهوياتها وثقافاتها، لكن السؤال المطروح هنا هو: هل تستطيع الترجمة بوصفها فعلاً حضارياً وثقافياً كبح جماح الهيمنة الثقافية ؟ وهل بإمكانها المساهمة في الحفاظ على الهويات الثقافية للأمم المغلوبة على أمرها بانتهاج أساليب التغريب وترجمة الحرف والترجمة المقاومة أم بالتوطين والمكافئ الديناميكي والترجمة السلسة والشفافة ؟ ومن أجل الإجابة على تلك التساؤلات ارتأينا تقسيم هذه الدراسة إلى ثلاثة مباحث:

فالمبحث الأول يتناول بالدراسة مفهوم الهوية وعلاقتها بالثقافة في ظل العولمة، وفيه سنتطرّق إلى تعريف الهوية لغةً واصطلاحاً حتى نتمثّل معنى الهوية ونفهم فحواها وكذا مصادرها وعلاقتها بالثقافة وأهميتها في تكوين النسيج الاجتماعي والنفسي للشعوب حتى تكون أرضيّةً صلبةً للانطلاق الحضاري لنصل إلى الهوية الثقافية وتعريفها.

أما المبحث الثاني: فيُعنى بالترجمة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية وفيه سنتعرّض إلى الترجمة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية حيث سننفض الغُبار على تعريف الترجمة لغةً واصطلاحاً وهو ما سيعيننا في فهم كُنهها ودورها الذي لا نستطيع الاستغناء عنه لنُبيّن بعد ذلك أهم الاتجاهات والنظريات التي سايرت الترجمة ابتدءا بالمكافئ الديناميكي والمكافئ الشكلي التي طرحهما المنظّر الأمريكي يوجين نايدا (Nida) في ستينيات القرن الماضي والتي ظلّت ردحاً من الزمن لصيقةً بجميع عمليات الترجمة مروراً بترجمة الحرف التي أحدثت ثورةً عارمةً في المقاربات والاستراتيجيات المُنتهجة في حقل الترجمة والتي مهّد لها المنظّر الفرنسي أنطوان برمان (Antoine Berman) بالترجمة العرقية والتحويلية، لنصل إلى التوطين والتغريب وهما مصطلحان يعكسان بوضوح مفهوم الايدولوجيا في الترجمة ويشرحان ثقافة السيطرة التي ينتهجها الغالب على ثقافة المغلوب بوعي أو دون وعي من خلال الترجمة السلسة والشفّافة التي تمارسه بصفةٍ خاصةٍ الثقافةُ الأنجلو أمريكية على الثقافات الأخرى وهو ما يُؤدي إلى اختفاء المترجم بحجّة تقديم ترجمةٍ سلسةٍ وشفافةٍ وهو ما يُعتبر كذلك حسب عدد غير قليل من المنظّرين في حقل الترجمة مسحاً لهوية الآخر وهتكاً لعرضها؛ إذ أنّ الإغفالَ أو التغافل أثناء الأداء الترجمي عن هوية النص الأصل وثقافته من أجل إفهام الآخر ليُعدُّ

تشويهاً واضحاً – في ظنّنا– وخيانةً لا يمكن معالجتها إلاّ عن طريق التغريب والترجمة المقاومة، وسنجسّد ذلك من خلال المبحث الثالث الذي يمثل دراسة تحليلية مقارنة بين اتجاهين اثنين معروفين في تاريخ الترجمة إلى عصرنا الحالي و الذي سنعرض فيه أمثلة تختصُّ بتوضيح كيف أن الترجمة تقوم بتشويه هوية وثقافة النص الأصلي وهذا هو الاتجاه الأول الذي يتجه نحو اللغة المستهدفة، ولعلّ معالجة هذا التشويه لا يكون إلاّ بانتهاج أساليب التغريب والترجمة المقاومة، وترجمة الحرف والذي يمثل الاتجاه الثاني وهو ما سيكون في الأمثلة التي سنعرضها حول كيفية حفاظ الترجمة وصونها لثقافة الآخر وسنحوصل بحثنا بخاتمة نجمع فيها النتائج التي سنتوصل إليها.

المبحث الأول: الهوية وعلاقتها بالثقافة وأهميتها في ظل العولمة

1.تعريف الهوية:

تعريف الهوية لغةً : جاء في القاموس المحيط أن الهوية : كغنيّة البعيدة القعر،[1] وجاء في المنجد في اللغة والإعلام من أن هوية جمع هوايا وهي البئر البعيدة القعر[2] ولعلّ هذا التعريف اللغوي يوحي بعمق وبُعد الهوية في الذات الإنسانية وأهميتها بوصفها كبئرٍ بعيدة القعر، أما في عُرف حضارتنا الإسلامية فإنها مأخوذة من "هوّ...هوّ" بمعنى أنها جوهر الشيء وحقيقته المشتملة عليه اشتمال النواة على الشجرة و ثمارها، فهوية الإنسان أو الثقافة، أو الحضارة هي جوهرها وحقيقتها ... ولما كانت الثقافة في كل شيء من الأشياء – إنساناً أو ثقافةً أو حضارةً " الثوابت " و" المتغيّرات " ... فإن هوية الشيء هي ثوابته التي تتجدد ولا تتغيّر.[3]

تعريف الهوية اصطلاحاً: والهوية في الاصطلاح: " هي إحساس الفرد أو جماعة بالذات، إنها نتيجة وعي الذات بأنني أو نحن نمتلك خصائص مميزة ككينونة تميزني عنك وتميزنا عنهم، فالطفل حديث الولادة قد يمتلك عناصر هوية عند ولادته؛ كعلاقة مع اسمه وجنسه وأبوّته وأمومته .. وهذه الأشياء في كل حال لا تصبح جزءًا من هويته حتى يعيها الطفل ويعرّف نفسه بها "[4] ؛ والهوية هي تلك الصفة والذات التي لا تتبدّل ولا تتأثّر ولا تسمح لغيرها من الهويات أن تصبح مكانها أو تكون نقيضا لها، فالهوية تبقى قائمة مادامت الذات قائمة وعلى قيد الحياة وهذه الميزات هي التي تميز الأمم عن بعضها البعض والتي تعبّر عن شخصيتها وحضارتها ووجودها.[5]

2. مصادر الهوية : للهوية عدّة مصادر منها :

أ– السّمات الشخصية: وتشمل العمر، والسلالة، والجنس، والقرابة، والقومية (قرابة الدم)، والإثنية (القرابة البعيدة).

ب- السّمات الثقافية: وتُعنى بالعشيرة، والقبيلة، والقومية، والدين.

ت- السّمات السياسية: وتختصُّ بالوجود ضمن الجماعة، والزمرة، والقائد....الخ

ث- السّمات الاقتصادية: كالوظيفة، والعمل، والمهنة.

ج- السّمات الإقليمية: وتشملُ البلدة ،والإقليم ،والمنطقة الجغرافية.

وتتكون الهوية من ثلاثة عناصر أساسية هي: العقيدة التي توفّر رؤى للوجود واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى، وثاني هذه العناصر: اللغة وهي عنصر يميّز ثقافة شعب ما عن ثقافة شعب آخر وآخرها التاريخ[6] ؛ "إذن فالهوية في غاية الأهمية ومنها يكون المنطلق للمصالح والأعمال حيث لا يمكن للأفراد أن يفكّروا ويتصرّفوا بعقلانية في متابعة مصالحهم الخاصة والعامة إلا إذا عرفوا أنفسهم فسياسة المصالح تفترض وجود الهوية." [7]

3. علاقة الهوية بالثقافة:

ثمة علاقة وثيقة بين الهوية والثقافة وهي تعني علاقة الذات بالإنتاج الثقافي، والثقافة كما عرّفها محمد عمارة "هي كل ما يسهم في عُمران النفس وتهذيبها فالتثقيف من معانيه التهذيب وإن كانت "المدنية" هي تهذيب الواقع بالأشياء فإن الثقافة هي تهذيب النفس الإنسانية بالأفكار والعقائد والقيم والآداب والفنون وكلاهما: الثقافة والمدنية عُمرانٌ؛ عُمرانٌ للنفس و عُمرانٌ للواقع"،[8] ولقد جاء مبعث التمايز في الثقافات كثيرة لتَمَيُّز النفس الإنسانية في كل حضارة من الحضارات، وذلك لتميز المكونات والموروثات والعقائد والفلسفات والعادات والأعراف التي مايزت بين البصمات الثقافية في أمم هذه الحضارات،[9] وما من هوية إلاّ وتختزل ثقافة. والهوية تدلُّ وتعبّر عن ماهية وحقيقة الكائن إنسانياً كان أو غيره فردياً كان أو جماعياً وتحدد المكونات والخصائص التي تميزه عن غيره، والكائن المقصود هنا هي الثقافات والهويات الثقافية وهي متعددة بتعدد المقومات التي تقوم عليها الهويات مثل: الدين واللغة والعُرف والتاريخ والمصير المشترك وغيرها، والثقافة بحكم تركيبها قد تحتوي العناصر المذكورة جميعها وداخل هذا الكل المُركّب والمنسجم يوجد من العناصر ما هو جوهري وأساسي ورئيسي وما هو فرعي وثانوي ومكمّل وإضافي فإذا كانت الهوية الثقافية تدلُّ على ماهية الإنسان فكريا وثقافيا وحضاريا فإن الهوية تدلُّ على الثقافة وتعبّرُ عن مكوناتها وعناصرها فلكل ثقافة هوية وأيُّ ثقافة من غير هوية هي عدم ولا وجود لها وبمقدار تعدد وتباين الثقافات تتعددُ الهويات وتتباين. [10]

4. الهوية الثقافية:

"هي ذلك القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامّة التي تميز حضارة أمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعا يتميز به عن الشخصيات الوطنية الأخرى"[11] وتُعرّفُ كذلك على أنها "ذلك المُركّب المتجانس من الذكريات والتصوّرات والقيم والرموز والتعبيرات والإبداعات والتّطلّعات التي تحتفظ بجماعة بشرية تُشكّلُ أمةً أو في ما معناها بهويتها الحضارية في إطار ما تعرفه من تطوّرات بفعل ديناميتها الداخلية وقابليتها للتواصل والأخذ والعطاء، وبعبارة أخرى هي المعبّرُ الأصيلُ عن الخصوصية التاريخية لأمة من الأمم، عن نظرة هذه الأمة إلى الكون والحياة والموت والإنسان ومهامه وقدراته وحدوده."[12]

5. أهمية الهوية الثقافية:

يكتسب موضوع الهوية الثقافية أهمية بالغة خصوصا في المرحلة الحاسمة التي يمرُّ بها العالم أجمع والتي تتهدّدُ فيها الهويات بالتلاشي والذوبان في الهوية الغازية والغالبة ويتعرّضُ فيها التراث الإنساني لحملات من المسخ والتشويه والتقليل من قيمته والنيل من فعّاليته في صيانة حقوق المجتمعات الإنسانية وفي التشبّث بقيمها التراثية وهوياتها التاريخية التي هي العمود الفقري لخصوصياتها الروحية ولمكوّناتها الثقافية ولسماتها الحضارية، [13] ولعل صراع الهوية عند الأمم هو أعظم من صراع الأرض والثروة، وفي هذا يقول عبد السلام المسدي كلاماً رائعاً " إنّ الصراع على الأرض والصراع على الثروة والصراع على الماء كلّها مطايا للصراع على السيادة وعلى المجد وكلّها صراعات باديةٌ للعيان، لكن الصراع الأدق والأعمق والأبقى وربما الأعنف إنما هو صراع الهويات. " [14]

المبحث الثاني : الترجمة ودورها في الحفاظ على الهوية الوطنية والثقافية

1.تعريف الترجمة:

تعريف الترجمة لغةً : ترجم الكلام بمعنى فسّره بلسان آخر فهو تَرْجُمان وتُرجمان، جمع تراجمه وتَراجم ، ويقال ترجم بالتركية أي نقله إلى اللسان التركي و- عنه أوضح أمرهُ، والترجمة جمع تراجم: التفسير، وتُرجم الكلام: التبس وترجم الرجل ذكر سيرته، والترجمة جمع تراجم: ذكر سيرةَ شخص وأخلاقَه ونسبه وترجمة الكتاب فاتحتُه، [15] وجاء في القاموس المحيط للفيروز أبادي في باب الميم في فصل التاء من أنّ: "التُّرجُمان" كعنفوان وزعفران وريهقان: المُفسّرُ للسان وقد ترجمهُ، وعنه ، والفعل يدلُّ على أصالة التاء.[16] .

تعريف الترجمة اصطلاحاً: الترجمة اصطلاحا كما عرّفتها النظريات البنيوية بأنها "عبارة عن تأدية

علامات لغوية طبيعية بواسطة علامات لغوية طبيعية أخرى"،[17] والترجمة هي "عملية انتقال من نص مكتوب بلغة تُسمّى لغة الانطلاق إلى نص آخر يُكتب بلغة مغايرة يُطلق عليها اسم لغة الوصول؛ أي نقل فعل أو منتوج ثقافي علمي من متن لغوي إلى متن لغوي آخر للتعرّف على مت كُتب في الثقافة العالمية."[18]

2. أهمية الترجمة:

لقد أصبحت الترجمة اليوم ضرورة من ضرورات الحياة ووسيلة اتصال لا غنى عنها، حيث تساعد على تقوية وشائج التفاهم بين الشعوب وهي حلقة وصل أساسية لتبادل المعرفة والثقافة والأفكار في مجالات فكرية وعلمية وثقافية شتّى،[19] وتبقى الترجمة بدورها وفائدتها دوما تنافس غيرها من النشاطات العلمية والفنون العملية وذلك بطبيعة الحال لما يميزها من كونها قناة ناقلة للثقافات وموصلة لزاد الأمم من الأنا إلى الآخر، فهي وسيلة تفاهم وتواصل بين الشعوب والثقافات المختلفة منذ عهود طويلة، وإن أهميتها لفي تزايد مستمر تبعاً للتطورات الحاصلة عبر التاريخ وتُعدُّ الترجمة الخيط الناظم الذي يربط المجتمعات ويدعم نسيج الحضارة الإنسانية، والترجمة ذات أثر ثقافي تُسهم في تشكيل الوعي وتنوّع الموروث الثقافي والفكري وتُعزّزُ من وسائل فهم العالم الآخر، كما أن دورها مهمٌّ في حوار الحضارات وليس تصادُمُها بهدف تقوية التواصل في فهم الآخر في إطار من التعاون المبني على الاحترام المتبادل والأمانة والدقة، كما لا يمكن البتّة إنكار دورها في إثراء الحياة الاجتماعية والعلمية والثقافية. وإن المتتبّع لتطوّر الحضارات الإنسانية وتنامي التقدم العلمي يجد أن الترجمة ظاهرةٌ تسبقُ كلَّ إنتاج حضاري من منطلق إثبات الذات والهوية وليس تشويهها ومحوها،[20] كما أن للترجمة دورها الواضح في تبيان اختلاف التجربة الإنسانية وتنوّعها سواء في عاداتها، وتقاليدها، ولغاتها وثقافتها، وطريقة عيشها، وفهمها للحياة الواقعية والميتافيزيقية، وإن من له أدنى قدر من الحصافة يعرف أنه من المتعذّر فصل اللغة عن الهوية وعن الثقافة، فاللغة جزءٌ لا يتجزأُ من الهوية الثقافية في حياة الأمم والشعوب، وعند فعل الترجمة فإننا لا ننقلُ فقط لغة القوم بقدر ما ننقلُ ثقافته وهوية شعبه، ولذلك تُعدُّ الترجمة بمثابة الجسر الثقافي واللغوي الذي يربط بين تلك المجتمعات ليُبيّن اختلافاتها وتنوّع هوياتها وثقافاتها.

3.المكافئ الديناميكي والمكافئ الشكلي:(Dynamic Equivalence and Formal Equivalence)

لقد فرّق المنظّر الأمريكي يوجين نايدا (Eugene Nida) منذ ستينيات القرن الماضي بين اتجاهين أساسيين في عملية الترجمة ووصفهما نايدا بالشكلين الأساسيين من التكافؤ : شكلي وديناميكي،

وقد عرّف نايدا الترجمة التي تسعى إلى إنتاج مكافئ ديناميكي بأنها " الترجمة المبنية على أساس التأثير المكافئ ولا نهتم كثيرا في مثل هذه الترجمة لمكافئ الرسالة في لغة المتلقي بالرسالة في لغة المصدر بل بمكافأة العلاقة الديناميكية؛ أي يجب أن تكون العلاقة بين المتلقي والرسالة أساسا نفسها كما كانت موجودة بين المتلقين الأصليين وبين الرسالة"[21] .

ويرى نايدا أن الترجمة ذات التكافؤ الديناميكي لا تسعى إلى إفهام القارئ ثقافة وبيئة لغة المصدر وإنما تحاول ربط المتلقي بما هو موجود في بيئته وثقافته، وتهدف الترجمة ذات المكافئ الديناميكي الوصول إلى عدم التصنّع والتكلف في التعبير بل تحاول ربط المتلقي بأنماط السلوك ضمن السياق الخاص بثقافته، وهي لا تُلحُّ على المتلقي فهم الأساليب الثقافية لسياق اللغة المصدر من أجل فهم الرسالة،[22] والترجمة ذات المكافئ الديناميكي هي تطويعٌ أي تكييف الرسالة للوفاء بالاحتياجات اللغوية والتوقّعات الثقافية للمتلقي، ويهدف هذا التطويع إلى أن يكون التعبير طبيعيا تماما وهذا معناه خلو اللغة المستهدفة والمستقبلة من آثار تدخّل اللغة المصدر.[23]

وبالمقابل فإن نايدا عرّف المكافئ الشكلي على أنه الاهتمام بالرسالة نفسها في الشكل والمضمون ويتم الاهتمام في مثل هذه الترجمة بتلك التطابقات كتطابق الشعر بالشعر، والجملة بالجملة، والمفهوم بالمفهوم، ويسعى المترجم في هذا النوع إلى موازنة رسالة لغة الأصل مع رسالة اللغة المستهدفة بعناصرها المختلفة وهذا يُؤدي بالمترجم-حسب نايدا- إلى مقاييس الدقة والضبط وهو يُؤدي بدوره إلى الشروح والتفاسير، والهوامش، والحواشي؛ حتى أن نايدا (Nida) جعل الترجمة ذات الحواشي هي الشكل الأكمل والأتم للمكافئ الشكلي، وقد ضرب نايدا مثالا حول هذا النوع وهو: (holy kiss) أي: (القُبلة المقدّسة) والتي يتم نقلها في هذا النوع من التراجم (المكافئ الشكلي) بصورة حرفية ثم يتم تذييلها بهامش يفسّر هذا الأسلوب على أنه أسلوب تحية متعارف عليه في أزمنة كتاب العهد الجديد[24].

والملاحظ هنا في المكافئ الشكلي أنه نقل هوية وثقافة ما كان متعارف عليه في أزمنة كتاب العهد الجديد، وهنا تضطلع الترجمة بدورٍ كبيرٍ في الحفاظ على الهوية والثقافة، ونايدا من المنظّرين المعاصرين الذين يرجّحون كفّة المكافئ الديناميكي على الشكلي أي التوجّه نحو اللغة المستهدفة، كما يعتبر نايدا أن المترجم الذي يّنتج ترجمات ذات مكافئ ديناميكي هو مترجمٌ واعي تماما بدرجة التشويه، وهي نظرةٌ لاقت نقداً لاذعاً من منظّرين معاصرين مثل : أنطوان برمان(Antoine Berman)، ولورانس فينوتي (Lawrence Venuti)، وهنري ميشونيك (Henri Meschonic)،

وقد كان من بين هموم أنطوان برمان تحرير عملية الترجمة من الستر والحجب أي تحرير الترجمة من ستر وحجب هوية وثقافة النص المصدر وهي عملية تقوم بها الترجمة ذات المكافئ الشكلي، والمقصود هنا إبعاد الحرف والنقل الشكلي لحساب المعنى، فعند عملية الترجمة يسعى المترجم عادة إلى مقاومة النقل الشكلي ونقل الدّوال وهذا يؤدي إلى حجب الترجمة ومنه إلى حجب ثقافة وهوية لغة المصدر بحجّة إفهام قارئ اللغة المستهدفة،[25] والهدف من الترجمة – حسب برمان – ليس هو نقل المعنى من اللغة الأصل إلى لغة المتلقي ومحو آثار النص الأصل وإيهام القارئ بأن النص المُترجم كما أنه لو كُتب بلغته الأصل، وهنا يناقش برمان عدّة مفاهيم ليوضّح أن ما يجري في عمليات الترجمة هو محو لهوية وثقافة النص المصدر ولابد من الوقوف ضد هذا الاتجاه في الترجمة وأُولى هذه المفاهيم هي الترجمة المتمركزة عرقياً والترجمة التحويلية.

4.الترجمة المتمركزة عرقياً والترجمة التحويلية:

(Ethnocentric and Hypertextual Translation)

ويقصد برمان بالتمركز العرقي هو اللجوء إلى الترجمة التي تُرجع كل شيء إلى ثقافتها الخاصة وإلى معاييرها وقيمها وأن كل ما هو خارج عن هذه الثقافة: غريب أو سلبي أو لا بأس أن نلحقه ونكيّفه من أجل إثراء هذه الثقافة.[26]

ويبدو أن أصل الترجمة المتمركزة عرقيا يعود إلى روما؛ فقد بدأ المؤلفون اللاتينيون الكتابة باليونانية ثم شرعوا بعد ذلك بالترجمة ذات النطاق الواسع لمجموع النصوص الإغريقية، وفي واقع الأمر، لقد كانت عملية وضع صبغة لاتينية وعملية ضمّ وإلحاق أكثر منها عملية ترجمة بمعنى محو آثار النص المصدر وهو ما يعني عدم الاعتراف بهويته وثقافته، حتى أن برمان نفسه يرى أن هذه النظرة اللاتينية للترجمة تعود إلى التفكير الإغريقي بمعنى إلى أفلاطون الذي أسس القطيعة بين المحسوس والمعقول، وتقوم الترجمة المتمركزة عرقيا على مبدأين أساسيين ومترابطين ؛ فالمبدأ الأول هو ألاّ نُشعر القارئ بأن هناك ترجمة بمعنى أن النص المترجم كما لو كُتب باللغة المترجم إليها وهو ما يعني كذلك اختفاء أثر اللغة الأصل، أما المبدأ الثاني فهو نتيجة للمبدأ الأول: وهو أن الترجمة مطالبة بتقديم نص يكون هو نفسه ولديه نفس التأثير على قارئ اللغة المستهدفة،[27] والترجمة المتمركزة عرقيا تُشبه إلى حد كبير الترجمة ذات المكافئ الديناميكي التي اقترحها نايدا.

أما المفهوم الثاني عند برمان فهو: الترجمة التحويلية، وهي تعود إلى كل نص يتولد عن التقليد، والمحاكاة الساخرة... والتكييف والانتحال أو أي نوع آخر من التحويل الشكلي أو أي نوع آخر

موجود سلفاً،[28] ويعتبر برمان أن الترجمة المتمركزة عرقيا هي واقعة تاريخية بغض النظر عن كونها ميولاً مقترنةً بتصفية كل ما هو غريب بغرض استيعابه في لغة المتلقي.

لقد ظلّت الترجمة المتمركزة عرقيا والترجمة التحويلية نمطين أو صيغتين معتمدتين منذ قرون وأن كل ما شذّ عليهما ليس مقبولاً وبسبب هذين النمطين أُتهم فعل الترجمة بالخيانة والتحريف لأنه يمحي خصوصيات الآخر ويعوّضه بثقافة اللغة المستقبلة ومعاييرها الخاصة وقيمها ويعتبر أن كل مالا يتطابق معها ومع قالبها الثقافي هو بمثابة الآخر والغريب.[29]

5. ترجمة الحرف: (Letter Translation)

لقد اقترح برمان ما سمّاه بـ: " ترجمة الحرف " من أجل الحفاظ على هوية وثقافة الآخر؛ وترجمة الحرف في هذا المقام ليست الترجمة الحرفية بل هي إستراتيجية ترجميه، وهي مقاومة لكل أساليب التحريف والتشويه، وقد انطلق برمان في تحليله للترجمة من الميول التحريفية والتشويهية التي يمارسها المترجمون من هدم لحرف النص الأصل وجسديته ونظامه لفائدة المعنى، وهذه الميول التحريفية هي نسقٌ كلي يرسم بعمق ما دعاه برمان بـ:

" الحرف "، وقد أشار برمان في كتابه " الترجمة والحرف " إلى ثلاثة عشر نوعا من هذه الميول التشويهية، وحسب برمان فإنه يمكن لبعضها أن يتقاطع مع البعض الآخر أو ينحدر منها؛ ومثل هذه الميول التي يمارسها المترجمون نذكر مثلا: العقلنة التي تهتم في المقام الأول بالبُنى النحوية للنص الأصل وكذا وضع علامات وقفه التي تُعتبر عُنصراً دقيقاً في النص النثري، وتُعيد العقلنة تركيب الجمل ومقاطعها وتُنظّمها على حسب فكرة معينة لنظام الخطاب، و- حسب برمان – فإن النثر الكبير سوء أكان روايةً، رسالةً أو مقالةً يحتوي عادةً على الكثير من الأسماء الموصولة، وكذا التكرار وأسماء الفاعل، والجمل الاسمية، والطويلة، وباسم العقلنة يتم تهديم وتشويه كل ما سبق ذكره.[30]

أما التفخيم فيُعنى بإعطاء ترجمة أجمل من الأصل من الناحية الشكلية، وبالتالي تأتي الجمالية هنا لتكمّل منطق العقلنة في أن كلّ خطابٍ وجب أن يكون جميلاً وهذا يُؤدي إلى تحسين النظم الشعري على مستوى الشعر و إلى تحسين النظم البلاغي على مستوى النثر و يتمثّل النظم البلاغي المُزخرف والمُنمّق في إنتاج جمل أنيقة باستعمال العمل الأصلي كمادة أولية، فالتفخيم إذن ما هو إلاّ إعادة كتابة وممارسة أسلوبية على حساب الأصل وانطلاقاً منه، [31] أما الإفقار النوعي فإنه يُحيلُ على استبدال مصطلحات وعبارات، وصياغات العمل الأصلي بمصطلحات، وعبارات، وصياغات لا تحتوي

لا على الغنى الصوتي ولا الدلالي، وضرب برمان عدّة أمثلة من أجل توضيح هذا الميل وأتى بالكلمة البيروفية: (chuchumeca) والتي نترجمها إلى اللغة الفرنسية بـ: (pute). : أي " العاهرة "، وحسب برمان فإننا بهذه الترجمة نقلنا معنى هذه الكلمة وليست الحقيقة الصوتية الدّالة لهذه الكلمات،[32] وما يُقابل الإفقار النوعي ما سمّه برمان بـ: الإفقار الكمّي الذي يتعلّق بالمعجمية والدلالة بحيث المقصود به الخسارة المعجمية أو الإنقاص المعجمي باعتبار أن النثر يتميّز بكثرة المعاني والدلالات حيث أنه يعرضُ دلالات ومعاني متعددة، وقد استشهد برمان بمثلٍ حول الإفقار الكمّي استقاه من الروائي الأرجنتيني روبرت آرلت (Robert Arlt) حينما استخدم لمفهوم الوجه ثلاثة دوالٍ هي على النحو الآتي:

(cara, rostrot , samblante) دون أن يُقدّم الرّوائي أي تبرير في استعمال الدوال الثلاثة، واعتبر برمان أن أي ترجمة لا تحترم هذه الثلاثية في الدلالة تُعتبرُ إفقاراً كمّياً مقارنةً بما يوجد في الأصل،[33] ومن الميول المهمة في هذا السياق ما سمّاه برمان بـ : هدم إيقاع النص؛ وهو متمثّلٌ في مجموعة متشابكة من الإيقاعات سواء في الرواية، أو الرسالة، أو المقالة، أو الشعر؛ فيصعُب على المترجم كسر هذا التوتر الإيقاعي، وقد استشهد برمان بعدّة أمثلة حول الإيقاعات التي يشوّهها المترجمون نذكر منها: علامات الوقف، والإيقاعات الإيمائية وهدم العبارات المألوفة وغيرها من الميول التي من خلالها تُغيّبُ ثقافة وهوية النص الأصل. [34]

هذه عن أهم الميول التشويهية التي اقترحها برمان والتي تُجسّدُ ترجمة الحرف التي لا تعني سوى طريقة بسيطة من أجل الترجمة الجيّدة والوقوف في وجه الخيانة؛ فهي وسيلة لمعالجة سيطرة الثقافة المهيمنة والسائدة، فالحرفية بالنسبة لبرمان هي إستراتيجية ترجمة وليست وصفة موجّهة لحل صعوبة ما، وهدف الحرفية بالنسبة إليه هو استقبال الغريب كغريب، فالحفاظ على غرابة النص هي القيمة الأساسية للترجمة وتصبح بذلك المعيار للحكم على عليها، حيث أن الترجمة الخالية من غرابة الغريب بالنسبة لبرمان هي ترجمة سيئة، وأن حيوية النص لا تكمن في المعنى الواضح والدقيق للحرف ولكن في الحرف نفسه، بمعنى أن الحرف هو موضوع وهدف الترجمة، وبذلك نستطيع القول بأن الترجمة التي تمنح الامتياز إلى الحرف هي ترجمة أمينة وأخلاقية في الوقت ذاته.[35]

كما أن برمان يرفض أن يحدد المترجم لنفسه هدف إيصال الأعمال الأدبية إلى الجمهور ، وأن من يفعل ذلك هو مترجمٌ يضطرُّ إلى القيام بتنازلات إلى جمهوره لأن الأفق المرسوم له بالضبط هو هذا الجمهور، وأن هذه المسألة تستجيب لقانونين اثنين يخصّان عملية التواصل فالقانون الأول : هو أنه

كلّما اتّسع مجال انتشار الرسالة كلّما تقلّص مضمونها، أما القانون الثاني: فيتمثّل في وجود قطبين للتواصل مع شخص ما، وغالباً ما ينتصر القطب الثاني، وهذا – حسب برمان – راجع إلى وجود خلل داخل عملية التواصل مما أدّى إلى وجود نتائج كارثية على مستوى الترجمة عبر التاريخ.[36]

6. التوطين: (Domestication)

لم يكن أنطوان برمان المنظّر الوحيد الذي وقف ضد الاستراتيجية المُمنهَجَة في محو هوية وثقافة الآخر والتي اقترحها نايدا والمتجسدة فيما يُسمّى بالمكافئ الديناميكي، أو تلك التي تحدّث عنها أنطوان برمان بالترجمة المتمركزة عرقيا أو الترجمة التحويلية، بل تصدّى لورانس فينوتي كذلك لهذا الأمر، ويبدوا أنه هو أوّل من صاغ تسميتي التوطين (Domestication) والتغريب (Foreignization) في الترجمة وذلك في كتابه " اختفاء المترجم "

(the translator's invisibility)، وقد تم صياغة هذين المفهومين في الترجمة لأول مرّة في الدراسات الترجمية المعاصرة سنوات: 1991، 1995، 1998 بهدف تأسيس بُعد أخلاقي فيها، ويعتقد لورانس فينوتي أن الممارسة والخطاب الأنجلو أمريكي هما اللذين مهّدا لهذين الاستراتيجيتين.

في الحقيقة، لقد استمدّ فينوتي هذين المصطلحين: التوطين والتغريب من المنظّر الألماني فريدريك شلايرماخر (Frederik Schleiermacher) ومحاضراته التاريخية التي يعود لها الفضل في تكوين أسس ولبنات هاتين الاستراتيجيتين من خلال إعطاء اسم التدجين ومعالجته بالتغريب.[37]

والتوطين أو الترجمة التدجينية هو مصطلحٌ يشير إلى التكييف والتعديل في الترجمة لصالح اللغة المنقول إليها، وهي إستراتيجية شبيهة بالمكافئ الديناميكي الذي اقترحه نايدا، ويرى فينوتي وبرمان أن هناك عدّة أسباب وراء انتهاج المترجمين لاستراتيجية التوطين منها التداولية المحضة ومنها السياسية وأوّل هذه الأسباب: النزوع نحو التمركز العرقي وهو ما تحدث عنه برمان في ترجمة الحرف وثانيها سلاسة اللغة المستهدفة بعد عملية الترجمة، وهو حكم يطلقه الناشرون والمراجعون للترجمات وهم أغلبهم لا يتقنون اللغة المنقول إليها بصفة جيدة، وثالث هذه الأسباب؛ هو اعتكاف أغلب الناشرين في الولايات المتحدة الأمريكية وفي بريطانيا على اختيار أعمال يمكن فهمها واستيعابها دون عناء ومشقة، أما السبب الأخير فيُعنى بتميّز وتمتّع الثقافة وعمليات النشر في العالم الأنجلو أمريكي بحسّ السيطرة ولذلك يُجَنِّبُ التوطينُ والنزوعُ نحو اللغة المنقول إليها.[38]

و" لقد أكدت الدراسات الثقافية الأنجلو أمريكية هيمنة اللغة الانجليزية وسُلطتها بوصفها لغة

وحيدة للترجمة، ذلك أن الفوارق الثقافية العديدة التي تسِمُ عالمنا اليوم ذاتُ وزن متفاوت تستأثر فيه الانجليزية بالنصيب الأوفر "،[39] والتوطينُ هو طريقة شفافة يتم تبنيها للتقليل من غرابة النص الأجنبي من أجل أن يُلائم القُرّاء في اللغة المستقبلة. ويعتقد فينوتي أن استرتيجية التدجين تقتضي بعض الخطوات مثل الاختيار الحذر للنصوص، وتبني الأسلوب السلس في اللغة المستهدفة، وكذا تأويل المواد المفسّرة والشارحة ذات الصلة بالنص وإزالة أولويات النص الأصل، كما تُشير إستراتيجية التوطين على كل مشاريع الترجمة التي تتطابق مع القيم المهيمنة على ثقافة اللغة المنقول إليها وتُقارب الغريب بتحفّظ من أجل دعم القواعد المحلية (Domestic canons) وميل النشر (Publishing trends) والتحالفات السياسية (Political alignements).[40]

7. الترجمة السلسة و اختفاء المترجم : (Fluent Translation and Translator's Invisibility)

يعتبر فينوتي السلاسة أو الترجمة السلسة (Fluency) من أهم المرتكزات التي تقوم عليها استرتيجية التوطين ولن تتأتّى هذه السلاسة إلا من خلال اختفاء المترجم،[41] وقد ربط فينوتي بين السلاسة وبين المكافئ الديناميكي لنايدا الذي يسعى إلى تحقيق مكافئ طبيعي في اللغة المنقول إليها وهذا معناه – حسب فينوتي– أن السلاسة والتعبير الطبيعي يتضمّن التوطين،[42] أما اختفاء المترجم فهو مصطلحٌ استخدمه فينوتي لوصف وضعية المترجم ونشاطه في الثقافة الأنجلو أمريكية المعاصرة وهو يُحيل على ظاهرتين تُحدد بعضهما البعض؛ فإحداها تُعني بتأثير مُضلّل للخطاب وباستغلال المترجم الشخصي للغة الانجليزية أما الأخرى فتختصُّ بممارسة القراءة وتقييم الترجمات التي سادت ولزمن طويل في المملكة المتحدة والولايات المتحدة الأمريكية ضمن ثقافات أخرى سواء في اللغة الانجليزية أو لغة أجنبية أخرى.[43]

يبدو أن فينوتي كان يقصد بمصطلح " اختفاء المترجم " شيئين اثنين: الأول متعلق بعمل المترجم حين يتّجه إلى الترجمة التدجينية بمعنى آخر التوجّه نحو التعديل والتكييف الذي يجريه المترجم على النّص لصالح اللغة المنقول إليها وهو – حسب فينوتي – خطابٌ مضللٌ يستغل فيه المترجم اللغة الانجليزية ويُوهم القرّاء بأن هو ذاته ما كان سيقصده الكاتب لو كتب بالانجليزية، أما الظاهرة الثانية فتتعلق بتقييم الترجمات التي يُجريها المراجعون والناشرون بمعيار واحد هو: السلاسة، ويصف فينوتي الترجمة السلسة بأنها تلك التي تستخدم الانجليزية المعاصرة بدلا من المهجورة، والتي تفضل الألفاظ المألوفة والشائعة عوضا عن المتخصصة وتعتمد على اللغة القياسية مكان الدارجة، كما تتجنب استعمال التعابير البريطانية في الترجمات الأمريكية والتعابير

الأمريكية في الترجمات البريطانية.[44]

إن ما تنتجه الترجمة السلسة هو ما سمّه فينوتي بـ :" الشفافية " (transparency) وهي كذلك نتيجة لجهد المترجم في ضمان مقروئية سهلة وبسيطة لقرّائه من خلال التقيد بالاستعمال المتداول، والحفاظ على تركيب الجمل المستمر وتحديد المعاني الدقيقة، وقد سمّاها فينوتي بـ : " وهم الشفافية "[45] ؛ وهي كل ميل ترجمي أراد به المترجم عمدا الإيحاء بأن ترجمته انعكاسٌ مثالي لشخصية المؤلف الأصلي ولنواياه ولمقاصده ويشبّه فينوتي وهم الشفافية بالستار الحاجب الذي يخفي الظروف التي أدى المترجم في ظّلها عمله، والستار الحاجب هنا يذكّرنا بما تحدّث عنه أنطوان برمان من الستر والحجب والتي كانت من بين همومه في الترجمة والتي اقترح لها حلاّ بتمكين النقل الشكلي وإتّباع ترجمة الحرف من أجل رفع ذلك الستار.[46]

8. التغريب والترجمة المقاومة: (Foreignization and Resistant Translation)

يعتقد فينوتي أن هدف الترجمة هو الاعتراف بالآخر وإعادة ثقافته كما هي في عملية الترجمة وأن ما يتهدّدُ هذا التغريب هو خطر التوطين الذي غالبا ما يكون في إطار واعي أين تقوم الترجمة بخدمة الثقافات الأجنبية لصالح أجندات توطينية سواء أكانت ثقافية، أو اقتصادية، أو سياسية.[47]

والتغريب في الحقيقة ليس تمثيلاً شفافاً بل هو بناءٌ استراتيجيٌ مُحكمٌ ومُنظمٌ تتوقف قيمته على الظروف التي تسود الثقافة المستقبلة في لحظة معينة كما أنّ التغريب ليس هو الترجمة السلسة بل هو مناهضٌ لها، ومناهضٌ لأي تمركز عرقي، ومن أجل أن تبرز أيّ ترجمة تغريبية ما لابد أن يتجلى في النص الأجنبي بعض الاختلافات التي من شأنها أن تحدث الفوضى والضرر الكبيرين بما يسود الثقافة الحاضنة من قوانين وهو ما يعني على ترجمة مثل هذه أن تُسيء إلى المألوف بواسطة الانحراف عن المعايير المحلية (local codes) حتى تعرض على القارئ تجربة قراءة غريبة.[48]

كما يعتقد فينوتي أن التغريب هو تدخل استراتيجي ضد هيمنة الأمم الانجليزية وهو تموقعٌ جاء نتيجةً مباشرة للوضع غي المتكافئ في مواقف التبادل الثقافي ويمكن اعتباره شكلا من أشكال المقاومة الصريحة ضد التمركز العرقي والنرجسية الثقافية والامبريالية في سبيل إرساء الديمقراطية أساسا للعلاقات السياسية بين الأمم.[49]

ويحبّذُ فينوتي تسمية إستراتيجية التغريب بالمقاومة (Resistancy) ليس لأنها تتجنب السلاسة فحسب بل لأنها أيضا تتحدى الثقافة المستقبلة رغم ممارستها العرقية على النص المترجم، فتغريب الترجمة في اللغة الانجليزية هو شكلٌ للمقاومة ضد العنصرية [50] وهي ترتكز – أي الترجمة المقاومة

– على جمالية الانقطاع (an aesthetic discontinuity) الذي يمكنه الحفاظ على الاختلاف والغرابة والغيرية (نسبةً إلى الغير والآخر) من خلال تذكير القارئ بالربح والخسارة أثناء سير عملية الترجمة.[51]

لقد تعرّض كذلك المنظّر الفرنسي هنري ميشونيك إلى دور الترجمة في إثبات هوية الآخر والاعتراف به، فهو يرى أن مفهوم الشفافية في الترجمة يعكس جهل المترجمين، حيث أن الترجمة كما يعتقد ميشونيك ما هي إلاّ سوى إعادة تلفظ خاص لموضوع تاريخي يأخذ شكلين اثنين :

– الشكل الأول: الإزاحة عن المركز؛ وهو علاقة نصية بين نصين في لغتين وثقافتين مختلفتين.

– الشكل الثاني: الإلحاق؛ والمقصود به محو هذه العلاقة، وبالتالي تكريس مفهوم إيديولوجيا الثقافة المهيمنة كما يعتقد ميشونيك أن هذا الإلحاق ينتمي في أكثر أشكاله حدّةً إلى: الإمبريالية الثقافية،[52] ولا يرى ميشونيك في أخلاقية الترجمة بأنها مسؤولية اجتماعية، وإنما هي بحث عن ذات تسعى لأن تكون ذاتاً من خلال نشاطها حتى تصبح الآخر أو الغريب، وبهذا المعنى فإن هذه الذات تُوصف على أنها كائن لُغويٌ ذو ميزة أخلاقية وشعرية،[53] كما يشير ميشونيك إلى أن ظاهرة التدخّل في النص الأصل وتحويره وتغييره تُعتبر بمثابة نوع من الرقابة عليه خاصة عندما يعمدُ المترجم إلى تحويل الأفعال إلى أسماء، وترجمة المفرد جمعاً أو العكس، وذلك جميعاً بنيّة إلحاق الأصل وتملّكه وليس فقط أداؤه،[54] وفي تعليقه على المترجمين الذين يستخدمون الترجمة الحرّة ومنطق التوطين في المجال الأدبي وخاصة في ترجمة الشعر يقول الكاتب والمترجم المغربي حسن بحراوي: " إن أهم مؤاخذة على هؤلاء المترجمين أنهم يتصرفون في النص الأصل كما لو كان نصهم الخاص، ويأخذون حريتهم الكاملة في التدخّل فيه عن طريق هدم تناسقه بأشكال الحذف والإضافات وتغيير مواضع الكلام، وممارسة جمالية الكلمة المفردة وليس الجملة كما هو مفترض، إلى جانب استخدام الكلمات المهجورة وأشكال القلب والاقتباس والتحطيم للعلاقات المجازية زاعمين أن العمل الأدبي لا يكشف عن نفسه من أول وهلة، وأن كل ترجمة تشكل قراءة جديدة للأصل."[55]

إن مفهوم إيديولوجيا الثقافة المهيمنة تخفي وراءها النقاش القديم حول مفهوم الأمانة للمصدر الذي يضع الترجمة الحرفية في مقابل الترجمة بتصرّف وهو نقاشٌ قديم جديد يعكس بوضوح محاولة سيطرة إيديولوجيا الثقافة المهيمنة، وسنحاول من خلال الأمثلة التطبيقية توضيح أهمية الترجمة في الحفاظ على هوية الآخر وصون ثقافته بواسطة التغريب والترجمة المقاومة، أو ما نسميه بترجمة الحرف.

المبحث الثالث: أمثلة تطبيقية

1. أمثلة حول تشويه الترجمة للهوية الثقافية:

تبيّن هذه الأمثلة كيف أنّه تمّ تشويه هوية وثقافة اللغة المنقول منها من أجل الاستجابة لتطلّعات القرّاء في اللغة المستقبلة وذلك باستعمال المكافئ الديناميكي وتقنية التأثير المكافئ التي اقترحها نايدا؛ وهي أمثلة استقيناها من كتاب يوجين ناید بعنوان " نحو علم الترجمة " ومن بين تلك الأمثلة: هذا المثال الذي يوضّحُ فيه نايدا كيف أنّ سكان لغة لاهو " Lahu " ؛ وهي إحدى لغات بورما وجنوب غرب الصين، لا يقفون احتراما لزعمائهم وهو عُرفٌ يسود سكان تلك المنطقة ويُعتبر جزءاً لا يتجزأ من هويتهم الثقافية، والمثال هو كالآتي:

"Stand up, stand up for Jesus" أي " انهض، انهض من أجل المسيح " (ترجمتنا)، – وحسب نايدا – فإنه يجب ترجمتها لسكان لاهو " " كالآتي: " Stand firm" أي: " ابق متمسكا من أجل المسيح " وليس انهض من أجل المسيح لأن ذلك يُنافي عادات وثقافة سكان لغة "لاهو".[56] وقد ضرب نايدا الكثير من الأمثلة في هذا السياق من أجل إحداث نفس استجابة لغة المصدر لدى قُرّاء لغة المتلقي خاصةً في العبارات الخارجة دلالياً عن المركز، وهنا يقصد نايدا الصور البيانية والبلاغية كالعبارات الكنائية، والتشبيه، والمجاز وغيرها، وهي عباراتٌ يصعب ترجمتها – حسب نايدا – لأنه يتعسّرُ فهمها في لغة المتلقي، وفي مثل هذه الحالات يكون المرء مُجبراً على إجراء بعض التعديلات في الترجمة والمثال هو كالآتي: " grid up the loins of your mind " ، فإذا ترجمناها ترجمةً حرفيةَ فإنها تكون كالآتي "ضع حزاماً حول أوراك أفكارك " (ترجمتنا)، ويرى نايدا أنه لا يجب أن نترجمها ترجمةً حرفيةً وإنما في ظل هذه الظروف فإننا يجب أن نتحوّل من العبارة الخارجة عن المركز إلى شكل العبارة الداخلة في المركز وتكون ترجمتها بالتالي " استعد في تفكيرك" **(ترجمتنا)**، ويبدو من خلال هذا المثال أن نايدا لا يُجبّذُ بل يرفض النقل الحرفي الذي لا تكون للعبارة فيه حينئذٍ أي معنى في مركز وسياق المتلقي وبالتالي تكون خارجة عنه ومن أجل أن نترجمها وفق المكافئ الديناميكي أو الطبيعي لابد أن ندخلها في مركز وفهم سياق المتلقي.[57]

وهنا نلاحظ تشويه ومسخ لهوية وثقافة اللغة المصدر لصالح هوية وثقافة اللغة المستقبلة، ونستطيع أن نصف هذه الترجمات بالتوطينية، والسلسة، والشفافة باستعمال المكافئ الديناميكي من أجل إحداث تأثير مكافئ استجابةً لتطلّعات قرّاء اللغة المستقبلة على حساب اللغة المصدر.

2. **أمثلة حول حفاظ الترجمة على الهوية الثقافية:**

تُبيّن الأمثلة الآتية كيف أن الترجمة تساهم بعمق في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والجماعات وأنها مكان لاستقبال الآخر والغريب، وهي أمثلة استقيناها من كتاب أنطوان برمان " الترجمة والحرف"، تُوضح كيفية الحفاظ على هوية الآخر وتجربته المختلفة والمثال الأول هو مثالٌ استشهد به برمان من رواية الإعصار (Typhon) للروائي كونارد (Conard)، والمثال كالآتي : " Damn! , if this ship isn't worse than Bedlem " وتم ترجمته إلى اللغة الفرنسية على النحو الآتي :

"Que le Diable m'emporte si l'on ne se croirait pas à Bedlem " أي " ليأخذني الشيطان إذا لم تعتقد أننا ببدلام " (ترجمتنا)، والملاحظ في هذا المثال أنه كان من الممكن استبدال كلمة (Bedlem) – والتي تعني "ملجأ انجليزي" يختبئ فيه الانجليز أثناء الحرب – في المثال السابق بالكلمة الفرنسية (Charenton)، فكلمة (Bedlem) الانجليزية غير مفهومة من طرف القارئ الفرنسي وإذا استبدلناها بكلمة (Charenton) والتي تعني كذلك ملجأ فرنسيا فإنها ستكون نزعة مركزية عرقية،[58] وبالتالي فإن الترجمة ليست فقط بحث عن المكافئات تحرّف وتشوّه لغة النص الأصل وهويته وثقافته، وهذا المثال يعكس إستراتيجية التغريب وترجمة الحرف.

لقد أثبتت هذه الاستراتيجيات نجاعتها في كثير من الدراسات الترجمية خاصة في ترجمة المصطلح الإسلامي في القرآن الكريم مثل كلمة : الله، الحج، إمام، سنّة، حديث؛ ويمكن أن نجد هذه المصطلحات في القواميس الفرنسية – الفرنسية على الشكل الآتي : Allah ,Hadj, Imam, Sunna, Hadith،[59] وهذا يعكس الهوية الإسلامية العربية بحكم أن القرآن عربي والسنّة كذلك، فكلمة مثل " Sunna " تعكس بوضوح أن هناك أحاديث نبوية قالها النبيُّ صلى الله عليه وسلّم أو فعلها أو أقرّها وهي مصدر من مصادر التشريع، ونقله إلى اللغة الفرنسية بهذا الشكل أي باستعمال ترجمة الحرف والتغريب بصفة عامة، يحفظُ الهوية الإسلامية والعربية بحكم أن اللغة الفرنسية وهويتها وثقافتها لا تمتلك هذه التجربة وليس لديها ما نسمّيه نحن بالسنُّة لكنّها نُقلت بالحرف الفرنسي فشكراً للغة الفرنسية عل حُسن الضيافة !

الخاتمة:

تكتسي الترجمة أهمية كبرى في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والشعوب ونحن هنا لا نزعُم بأن الترجمة هي وحدها والوحيدة من يقوم بهذه المهمة الصعبة وإنما الترجمة هي أحد العناصر التي لا يُستهان بها في الحفاظ على اختلاف التجربة الإنسانية باعتبار أن إحدى الخصائص الكُبرى للسان

البشري هو أن يتم فيه التعبير عن الأنا والذاتية وهي ميزة من ميزات اللغة البشرية تسعى الترجمة إلى إبرازها حتى تغدو الآخر لأنها تنقل من الأنا إلى الآخر، وقد اضطلعت الترجمة بمسؤولية استقبال الغريب وحُسن ضيافته من خلال استعمال استراتيجيات التغريب وترجمة الحرف والترجمة المقاومة التي غدت كلّها استراتيجيات لا تقلُّ في أهميتها عن المقاومة المُسلحة ضد السيطرة الثقافية للأمم المهيمنة وهي أداة يمكن استعمالها في هدم الأيديولوجيات الاستعمارية والامبريالية الثقافية من أجل إعادة بناء الهوية الثقافية للجماعات المغلوبة على أمرها ومنه إلى إثبات الذات والهوية الوطنية والثقافية، ومن خلال هذا البحث سنعرض أهم النتائج التي توصلنا إليها:

- إن الترجمة ليست مجرّد وسيط يبحث عن المكافئات من لغة إلى أخرى.

- ليست الترجمة مجرّد فعل لغوي فقط وإنما هي فعل ثقافي وحضاري يساهم في الحفاظ على الهوية الثقافية للأمم والجماعات كما يساهم في بناء الحضارة الإنسانية.

- من خلال تحليل الأمثلة السابقة بدا لنا أن إستراتيجية التغريب والترجمة المقاومة وترجمة الحرف هي كلها من أنجع الأساليب والمناهج التي لا تسعى إلى محو هوية الآخر وثقافته ولغته بل إنها تساهم في إثباتها وإظهارها.

- يبدو أن الترجمة تفيد الشعوب في مقاومة الاستعمار الثقافي واللغوي ولعل ذلك لا يكون إلا بانتهاج أساليب التغريب.

- ظهر لنا من خلال هذا البحث المتواضع أن الترجمة بالمكافئ والترجمة الشفافة والترجمة السلسة كلها أساليبٌ لا تنقل بعمق لغة وثقافة اللغة المنقول منها إذ أن همّها الوحيد هو فقط مقابلة ما يكافئ ذلك في اللغة المستهدفة.

- يمكن للترجمة بوصفها فعلاً حضارياً وثقافياً أن تكون أحد السدود المنيعة ضد الهيمنة الإمبريالية للأمم الغالبة إذا انتهجنا إستراتيجية التغريب ضد التوطين، واستراتيجية الحرف مقابل الترجمة بالمكافئ والترجمة السلسة.

ـ الحواشي والإحالات

[1] القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ط2 ، 2007، مادة (الهوية).

[2] المنجد في اللغة والإعلام (طبعة منقّحة ومزيد عليها) : بيروت، دار المشرق، ط 41 ،2005، مادة (هوية).

[3] مخاطر العولمة على الهوية الثقافية : محمد عمارة ، القاهرة ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 1999، ص : 06.

[4] " الهوية والثقافة " : إبراهيم الخليل سلمان ، مجلة سورمي ، سوريا ، العدد:15، 2016 ، ص:36 .

[5] " أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب " :محمد زغو ، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، الشلف، العدد: 04 ،2010 ، ص:94.

[6] " الهوية والثقافة " : إبراهيم الخليل سلمان ، ص-ص:39-39 .

[7] المكان نفسه.

[8] مخاطر العولمة على الهوية الثقافية : محمد عمارة ، ص:05 .

[9] المرجع نفسه، ص:06 .

[10] " الهوية والثقافة " : إبراهيم الخليل سلمان ، ص:40 .

[11] " الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة (دراسة ميدانية على طلبة جامعة دمشق)- دمشق عاصمة الثقافة العربية : أحمد علي كنعان ، دمشق ، 2008، ص:420 .

[12] المكان نفسه.

[13] " التراث والهوية ": عبد العزيز بن عثمان التويجري ، الرباط ، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة- إيسيسكو ،2011 ، ص:07.

[14] " اللغة والهوية في الوطن العربي " : عبد السلام المسدي ، بيروت ، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ط1، 2013، ص:305 .

[15] المنجد في اللغة و الإعلام (طبعة منقّحة ومزيد عليها): مادة (ترجم).

[16] القاموس المحيط : مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي ، مادة (الترجمان).

[17] "حول ترجمة القرآن الكريم، مقاصد العرفان في الكشف عن موقف العلماء في ترجمة القرآن": التجيني بن عيسى، سلسلة بحوث إسلاميات، تلمسان، العدد:01 ، 2000، ص:09 .

[18] " النص المسرحي بين التلقي والترجمة " : فتيحة الزّاوي بوزادي، مجلة المترجم، دار الغرب للنشر والتوزيع، وهران، العدد:16، 2007، ص- ص :115-116.

[19] ينظر : " تدريس الترجمة في الجزائر " : عبد الواحد شريفي، نفس المرجع (مجلة المترجم)، ص : 121.

[20] ينظر الموقع الالكتروني: (تم زيارة الموقع يوم : 2017/08/10).
(https://www.db-translation.com/%D8%A7%D9%87%D9%85%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%AC%D9%85%D8%A9)

[21] ' Toward a Science of Translating(Translating with special reference to principles and procedures involved in Bible Translating): Eugene Nida, Netherlands LAIDEN,E,J,BRILL,Netherlands,1964, p:159.

[22] Voir : ibidem.

[23] ينظر: نظرية الترجمة الحديثة (مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة): محمد عناني، الجيزة، الشركة المصرية العالمية لون جمان، ط2 ،2005 ، ص-ص:64-65.

[24] Toward a Science of Translating (Translating with special reference to principles and procedures involved in Bible Translating): Eugene Nida. p:15.

[25] Voir: les enjeux d'une théorisation de la traduction L'expérience, L'à-traduire et la philosophie, une étude métathéorique des trois discours traductologiques (Danica Seleskovitch, Antoine Berman et Jean René Ladmiral), Xu, Pu, une thèse de doctorat, domaine de traduction, Université Paris Ouest ,Nanterre la Défense, Paris, 2013, p:110.

[26] Voir : la traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain, Antoine Berman, Edition du Seuil, 1999, p:29.

[27] Voir : la traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain, Antoine Berman. p:35.

[28] Voir : ibid. p :29.

[29] Voir: Le concept de littéralité dans la traduction du Coran (le cas de trois traductions) " : Ferhat Mamri, une thèse de doctorat, domaine de traduction, Université de Mentouri, Constantine, 2005/2006, p:99.

[30] Voir : la traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain : Antoine Berman, p: 13.

[31] Voir: ibid. p-p : 57-58.

[32] Voir : ibidem.

[33] Voir: ibid. p : 59.

[34] Voir: ibid. p : 61.

[35] Voir: les enjeux d'une théorisation de la traduction L'expérience, L'à-traduire et la philosophie, une étude métathéorique des trois discours traductologiques (Danica Seleskovitch , Antoine Berman et Jean René Ladmiral) : Xu, Pu. p:173.

[36] Voir : la traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain : Antoine Berman, p:71.

[37] ينظر : إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة (دراسة تطبيقية): محمد أمين إدريس، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الترجمة، تخصص ترجمة، جامعة أحمد بن بلة، وهران، 2016/2015، ص-ص : 251-252.

[38] ينظر : المرجع نفسه، ص:253 .

[39] مقاييس الجودة في الترجمة : حافظ البريني ، تونس ، مركز النشر الجامعي ، 2010، ص-ص : 96-97.

[40] ينظر : المرجع نفسه، ص:254 .

[41] ينظر : المكان نفسه.

[42] The translator's invisibility (a history of translation) : Lawrence Venuti, London, Rutledge, 1st published, 1995, p:01.

[43] Voir, ibid. p: 13.

[44] ينظر : إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة، دراسة تطبيقية : محمد أمين إدريس، ص:257 .

[45] The translator's invisibility (a history of translation) : Lawrence Venuti. p: 01 .

[46] ينظر: إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة، دراسة تطبيقية : محمد أمين إدريس، ص:256.

[47] Voir: The translator's invisibility (a history of translation) : Lawrence Venutu.p-p:18-19.

[48] ينظر: إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة (دراسة تطبيقية): محمد أمين إدريس ، ص: 274.

[49] ينظر: المكان نفسه.

[50] Voir: The translator's invisibility (a history of translation) : Lawrence Venuti. p:40.

[51] ينظر: إستراتيجيتي التدجين والتغريب في الترجمة (دراسة تطبيقية) : محمد أمين إدريس، ص: 274 .

[52] ينظر : مدخل إلى علم الترجمة(التأمل في الترجمة ماضيا وحاضرا ومستقبلا) : ماثيو غيدير ، ترجمة أ.د أحمد طجّو ، الرياض ، النشر العلمي والمطابع ،2011،ص-ص:94-95 .

[53] ينظر : المرجع نفسه ، ص-ص:189-190 .

[54] ينظر : مأوى الغريب (دراسات في شعرية الترجمة) : حسن بحراوي ، القاهرة ، المركز القومي للترجمة ،ط1، 2015، ص: 216 .

[55] المرجع نفسه ، ص:218 .

[56] Voir: Toward a Science of Translating(Translating with special reference to principles and procedures involved in Bible Translating): Eugene Nida. p:219.

[57] Voir, ibid. p:171.

[58] Voir: la traduction et la lettre ou l'Auberge du lointain, Antoine Berman, p: 13.

[59] ينظر: منهج النقد عند أنطوان برمان : سميرة سماك، مذكرة ماجستير ، تخصص ترجمة، جامعة أحمد بن بلة 1، وهران، 2010/2009، ص: 12.

The role of translation in preserving the cultural identity of nations and peoples

By Mr. Ahmed Anad
Assistant teacher A –Faculty of Arts and Languages
University of Chahid Hamma Lakhdar –El Oued – Algeria.

Abstract:

This article deals with the significant role played by translation in preserving the cultural identity of source texts, which means preserving the cultural identity of nations and groups in the globalization's Era, which seeks to abolish the cultural diversity imposing the ego and establishing an unified world culture, contrary to what the translation seeks of the rescuing the culture and identity from the marginalization and exclusion, which is considered as the psychological and public intellectual framework of the society that expresses its social existence, this may be done by adopting methods of Foreignization , translation of the letter and resistant translation against Fluency, transparency, equivalent effect and the translator's invisibility.

Keywords: Culture ;Dynamic Equivalence ;Foreignization ; Formal Equivalence ; Identity; Translation